

## الباب الثالث

### « الحركة الخرمية » .. وفيه ثلاثة فصول

#### الفصل الأول

#### نشأة الخرمية

الخرمية أو الخرمدينة<sup>(١)</sup> ملة قديمة انتشرت بالمشرق منذ قديم قبل ظهور الإسلام بفترات طويلة ، وطائفة الخرمية ( بضم الخاء وفتح الراء مع التشديد وكسر الميم ) ترجع فى أصلها القديم إلى المجوسية أو المجوس الذين أثبتوا أصلين اثنين مديرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضرر والصالح والفساد يسمون أحدهما النور والآخر الظلمة ولهم مذهب طويل ومفصل فيما اعتقدوه من هذه الأمور<sup>(٢)</sup> .

وقد سُميت بالخرمية نسبة إلى خرما امرأة مزدك أحد الموايزة أى رجال الدين الفرس فى الدولة الساسانية الفارسية ، وقد أخذت هذه المرأة على عاتقها نشر مبادئ المزدكية بعد مقتل زوجها مزدك على يد خسرو الأول ( أنو شروان )<sup>(٣)</sup> الذى اطلع على خزيه وافترائه مما دعاه إلى قتله<sup>(٤)</sup> .

وتعددت المسميات التى أطلقت على الخرمية عبر الزمن وذلك على حسب تعدد الأهداف التى خرجت تنشد تحقيقها أو الغايات التى ثارت من أجلها أو على حسب الطوائف والجماعات التى انتمت إليها وغلبت عليها .

فأصحاب الملل والنحل يقسمون الخرمية إلى صنفين هما :

(١) الخرمدينة - لفظ أعجمي معناه كل ما تستلذ وتشتهي وترتاح به الأنفس ، وهو من ألقاب المزدكية أهل الإباحية والفجور .

(٢) انظر فيه الشهرستاني - الملل والنحل ، وابن حزم - الفصل فى الملك والأهواء والنحل . والبغدادي - الفرق بين الفرق وغيرهم .

(٣) أنو شروان - بن قياذ ، تولى حكم الاصبهذ بعد أبيه وهى الرياسة على الجنود ، وفى أيامه رأى الموبدان أن إبلاً صعب تقود خيلاً عراب وقد قطعت دجلة والفرات فأنزعه ذلك وعرف أن ملك العرب سيظهر ومات لثمان وأربعين سنة من دولته .

(٤) عبد المنعم ماجد - العصر العباسي الأول / ١ / ٤٠٠ .

**الصنف الأول :** كان قبل دولة الإسلام كالمزديكية الذين استباحوا الحرمات وأحلوا المنهيات وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء<sup>(١)</sup> ، والسبب في ذلك أن مزدك نهى الناس عن المخالفة والمباغضة والتشاجر والقتال ، ولما كان أكثر هذه الأمور تقع بسبب النساء والأموال فإنه أحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء ونقل عنه أنه أمر بقتل الأَنْفُس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة<sup>(٢)</sup> .

ويشير ابن النديم إلى الإباحية الفاضحة في مبادئ مزدك التي سنّها ودعا إليها فيقول : ( وأنه أمرهم بتناول اللذات والإنعكاف على بلوغ الشهوات والأكل والشرب والمواساة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه ، ومع هذه الحال فيرون أفعال الخير وترك القتل وإدخال الآلام على النفوس ، وإذا استضافوا إنساناً لم يمنعوه من شيء يلتمسه كائناً ما كان )<sup>(٣)</sup> .

وقد دامت فتنة هؤلاء واستمرت طرق غوايتهم إلى أن ظفر بهم أنوشروان فمزقهم كل ممزق وقتلهم شر قتلة<sup>(٤)</sup> .

وقد تركز وجود أتباع هذه النحلة في نواحي الجبال والهضاب فيما بين أذربيجان وإرمينية<sup>(٥)</sup> وبلاد الديلم وهمدان ودينور<sup>(٦)</sup> ، وفيما بين أصفهان وبلاد الأهواز والأماكن المجاورة<sup>(٧)</sup> .

(١) البغدادي - الفرق بين الفرق ص ١٦١ .

(٢) الشهرستاني - الملل والنحل ٥٤/٢ .

(٣) الفهرست ص ٤٦٤ .

(٤) البغدادي - الفرق بين الفرق ص ١٦٢ ، وابن النديم - الفهرست ٤٦٤ .

(٥) إرمينية ( بكر أوله وسكون ثانيه ) - اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال ( معجم البلدان - ١٦٠/١ ) .

(٦) دينور - مدينة من أعمال الجبل قرب قرسيين ، كثيرة الأشجار والزروع ( معجم البلدان - ٥٤٥/٢ ) .

(٧) ابن النديم - الفهرست ص ٤٦٤ .

**الصنف الثاني :** هم الخرمدينة نسبة إلى مدينة بفارس إسمها خرمة وقيل نسبة إلى خرّم أى الشهوة<sup>(١)</sup> لأن أتباعها كانوا يدينون بما يريدون ويقتربون ما يشتهون من الشهوات والنزوات ويسارعون إلى تلبية كل ما يرغبون فيه وليس لهم حدود فى أتيان المنهيات ، وهذا الصنف ظهر فى الإسلام ، لذا يسميهم بعض المؤرخين بالخرمية الحديثة أو الثانية وهم محور حديثنا أو بحثنا إن شاء الله تعالى ، والخرمية الحديثة فريقان :

(أ) الخرمية البابية - نسبة إلى بابك الخرمى الذى ظهرت فنتته فى عهد المأمون والمعتمد خلال العصر العباسى الأول وسوف نتحدث عنه وعن نشأته .

(ب) الخرمية المازيارية - وهم أتباع مزيار بن قارن الذى أظهر دين المحمرة بجرجان<sup>(٢)</sup> وأعلن العصيان فى عهد الخليفة المعتمد<sup>(٣)</sup> .

وقد أطلق على الفريقين اسم المحمرة<sup>(٤)</sup> وعلى كل حال فإن الخرمية الحديثة التى ظهرت بعد الإسلام وخلال العصر العباسى الأول ارتبطت ارتباطاً وثيقاً باسم بابك حتى أطلق عليها اسم الخرمية البابية وهى من الحركات الهدامة التى عدها المؤرخون من الحركات التى تعمل على إحياء تعاليم مزدك .

### ثانياً. نشاط الخرمية خلال العصر العباسى الأول :

أصبح للخرمية نشاط ملحوظ خلال العصر العباسى الأول ، إذ كانت تنشط مرة وتزبل أخرى ، وكان أتباعها الذين يحملون لوائها يقومون بنشر مبادئها الهدامة والفاسدة فى كل ناحية من نواحي همدان وفارس وبلاد الأهواز وخراسان ، على أن هذه المبادئ لم يكن لها خاصية الاستمرار نظراً لتعارضها مع العقل السليم والمنطق الواعى القويم .. فضلاً عن

(١) وقيل سميت بالخرمية نسبة إلى خرما امرأة مزدك التى قامت بنشر مبادئ عقائد هذا المذهب بعد قتل زوجها .

(٢) جرجان - مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان ( معجم البلدان - ١١٩ / ٢ ) .

(٣) البغدادي - الفرق بين الفرق ص ١٦١ .

(٤) سموا بالمحمرة لأنهم كانوا يلبسون الثياب الحمرة فى عهد بابك الخرمى .

تصادمها مع القيم الإيمانية والفضائل التي جاء بها الإسلام ودعا إليها وحث عليها والتي ترتفع بالنفس الإنسانية وتسمو بها إلى مصافى الكمال . ولهذا وجدت هذه المبادئ تصادماً وتعارضاً من بعض أتباعها أنفسهم ، ومن ثم انقسموا إلى فرق ومذاهب متعددة كان منها الكوذية والماهانية وأبو مسلمية<sup>(١)</sup> .

كانت الخرمية تخرج ما بين الحين والحين فتجهر بالتمرد والعصيان ، وكانت الباطنية تحالفهم وتشد من أزرهم ، وذلك لأن أصل المذهبين واحد<sup>(٢)</sup> . وقد صرح أئمة الملل والنحل بأن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان ، لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر<sup>(٣)</sup> .

وكان لتحالف الباطنية مع الخرمية أثر كبير في شق عصا الطاعة وخروجهم على الخليفة ، ففي سنة اثنتين وستين ومائة في أيام الخليفة المهدي اتحدت باطنية جرجان الذين يُقال لهم ( أصحاب العلم الأحمر ) مع الخرميين وذهبوا إلى أن أبا مسلم مازال حياً وأنهم سيتولون الملك وقدموا عليهم ابنه أبا الغراء وبلغوا الري وقد أباحوا النساء وأحلوا الحرام<sup>(٤)</sup> .

وقد أشار الطبري إلى خروج المحمرة بجرجان في عهد الخليفة المهدي ، وعلى رأسهم رجل يُقال له عبد القهار فأهاجوا أهل جرجان وتغلبوا عليهم وقتل بشراً كثيراً . ولما استفحل أمره وكثر فساد غزاه أحد قواد المسلمين وهو عمر بن العلاء من طبرستان ، وتمكن عمر من قتله وقتل بعض رجال المحمرة وتشريد بعضهم<sup>(٥)</sup> .

(١) الشهرستاني - الملل والنحل ٢ / ٥٥ . (٢) نظام الملك - سياست نامه ص ٢٨٧ .

(٣) البغدادي - الفرق بين الفرق ص ١٦٩ . (٤) نظام الملك - سياست نامه ص ٢٨٧ .

(٥) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٨ / ٤٣ . وابن الأثير - الكامل ٥ / ١١٩ .

ويبدو أن المحمرة قد دأبوا على العصيان فلم يقعدوا عن الغارة والهجوم على المسلمين ، ففي عام ٢٨١ هـ خرجت المحمرة وغلبت على جرجان .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد وحينما كان بخراسان خرجت الخرمدينية مرة أخرى من ناحية أصفهان وترمذين وكابله<sup>(١)</sup> ورساتيق أخرى كانت تابعة بها وخرج خلق كثير من الري وهمدان ودسته ولحقوا بهم وكان عددهم آنذاك أكثر من مائة ألف رجل<sup>(٢)</sup> .

فوجه إليهم الرشيد من خراسان أحد قواده عبد الله بن مالك في عشرة آلاف مقاتل فأسرو سبى أعداداً هائلة وحتى لا يعودوا إلى الثورة والتمرد على الطاعة مرة ثانية فإنه أمر بقتل الأسارى وبيع السبى .

ويذكر أن عبد الله بن مالك كتب للخليفة أن لا غنى لنا عن أبي دلف العجلي فاستجاب له الخليفة واستصوب رأيه وصار كلاهما يداً واحدة .

واجتمعت الخرمدينية مرة أخرى وعاودوا الغارة والفساد فبغتهم أبو دلف العجلي وعبد الله بن مالك وقتل منهم خلقاً كثيراً لا حد له وحملاً بينهم إلى بغداد وباعوهم في الأسواق<sup>(٣)</sup> .

وفي عام اثنتين وستين ومائة خرجت المحمرة بجرجان فقتلوا وفسدوا<sup>(٤)</sup> .

### ثالثاً - ظهور بابك ، نشأته ونسبه :

نشأ بابك نشأة غير قويمة في بيئة تقوم على الإباحية الرخيصة ، حيث ولد من سفاح نتيجة العهارة والدنس اللذين تدنس بهما ووقع فيهما والديه قبل مولده .

فقد جاء عنه فيما ذكره المؤرخون أن أباه كان رجلاً من أهل المدائن

(١) كابل - هي أرض بين الهند ونواحي سجستان ، وقيل كابل من ثغور طخارستان ( معجم البلدان ٤/٤٢٦ ) .

(٢) نظام الملك - سياسة نامة ص ٢٨٧ .

(٣) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٨/٣٣٩ .

(٤) أبو حنيفة الدينوري - الأخبار الطوال ص ٥٦٠ .

كان يعمل دهاناً ، وقد نزع إلى ثغر أذربيجان فسكن قرية تدعى بلال أبان من رستاق ميمد وكان متى انتقل إلى مكان حمل دهانه في وعاء على ظهره فهو امرأة عوراء فقيرة الحال من قرى أذربيجان فشغف بها ، وهذه المرأة هي أم بابك فكان يفجر بها خلصة ما بين الحين والحين ، وذات مرة إذ كانا يلتمسان مكاناً بعيداً عن القرية والأعين وبينما هما يمارسان الرذيلة والفحشاء ومعهما شراب يعتكفان عليه إذ خرج من القرية نسوة يسقين الماء من عين الغيظة فسمعن صوتاً نبطياً يترنم به (١) فقضدن إليه وهجمن عليهما فإذا بهما يفجران فهرب عبد الله (٢) وأخذن بشعر أم بابك وجئن بها إلى القرية وفضحنها فضيحة نكراء (٣) .

وبعد فترة وضعت هذه المرأة رضيعها وقد أسمته بابك وجعلت تتكسب عليه فكانت ترضع للناس بأجرة إلى أن صار عند بابك عشر سنين فيقال أنها خرجت ذات يوم تلتمس بابكاً وكان يرعى بقرأ لقوم فوجدته تحت شجرة نائماً رأت شعر بدنه قد اقتشعر وتحت كل شعرة من صدره ورأسه دمأ ، فعلمت أنه سيكون لابنها هذا شأن عظيم ، وكان في تلك الجبال قوم من الحرمية وعليهم رئيسان يتكافحان ويخالف أحدهما الآخر ، يُقال للأول جاويذان ويقال للثاني عمران ، وكانت الحرب تدور بينهما في الصيف فإذا أقبل الشتاء حال الثلج والبرد بينهما فتوقف القتال (٤) .

وذات يوم خرج جاويذان من مدينته يسوق أمامه ألفى شاة يقصد بها زنجان ليبيها ، وقد تم له ما أراد ، وبينما هو عائد مر بقرية بابك فأدركه

(١) يذكر البلخي أن هذا الرجل وهو والد بابك كان من نبط السواد .

(٢) يذكر البلخي أنه لم يتمكن من الهرب وإنما قُتل بسبب هذا الفعل ، بينما يذكر ابن النديم أنه تمكن من الهرب ولكنه عاد ذلك الدهان بعد فترة وجيزة إلى والد هذه المرأة العوراء ليطلبها منه فزوجه منها فولدن له بابكاً ، ثم خرج في بعض أعماله إلى جبل سبلان فاعترضه أحد الرجال فقتله .

ورواية البلخي أقرب للصحة والقبول وإن كان زواج هذا الرجل من المرأة العوراء على حسب رواية ابن النديم لم يدفع عنه دنس الرذيلة ولم يرد عن ابنه بابك عار النسب .

(٣) ابن النديم - الفهرست ص ٤٦٥ .

(٤) ابن النديم - الفهرست ص ٤٦٦ .

الثلج والبرد فأنزله بعض أهلها على أم بابك فأكرمته وقام ابنها بابك إلى غلمانه ودوابه فخدمهم وأسقى لهم الماء وبعثه جاويدان فابتاع له طعاماً وشراباً ففعل فسر به جاويدان وتفرس فيه الذكاء وسرعة التصرف فقال لأمه أيتها المرأة أنا رجل من جبل البذ<sup>(١)</sup> وصاحب مال ويسار وأريد استأجر ابنك ليساعدني في أمور ملكي وسوف أبعث إليك بأجرته كل شهر خمسين درهماً فرضيت أمه وبعثت به معه ، فلما قامت الحرب بين عمران وجاويدان كالعادة تمكن جاويدان من إلحاق الهزيمة به وقتل عمران وعاد إلى جبله منتصراً ولكن به طعنة نافذة فأقام في منزله ثلاثة أيام ثم مات<sup>(٢)</sup> .

وهنا برزت امرأة جاويدان وزعمت أن بابك قد استخلف عن زوجها وأن روحه حلت في بابك وانتقلت إليه وصاحت في قومها بأعلى صوتها وقالت إن جاويدان قال : قبل أن يموت إنى أريد أن أموت في هذه الليلة وإن روحي تخرج من بدني وتدخل في بدن بابك وأنه سيبلغ بكم أمراً لم يبلغه أحد وأنه سيملك الأرض ويقتل الجابرة ويرد المزدكية ويعز به ذليلكم ويرتفع به وضيعكم<sup>(٣)</sup> .

وكانت امرأة جاويدان تعشق بابكا وكان يفجر بها ولهذا أثرته على كل أتباع جاويدان ، فلما سمعوا منها هذا قالوا لها كيف لم يدع بنا ويوصى إلينا ؟ فقالت : ما منعه من ذلك إلا أنكم كنتم متفرقين في منازلكم من القرى وخاف إن بعث إليكم أن ينتشر خبره ، فعهد إلي بما أنا أؤديه إليكم فقالوا لها قد قبلنا عهده إليك في هذا الغلام وذلك أن الخرمية لا يصبحون ولا يمسون إلا على توقع الحركة فاتبعوه وصدقوا المرأة على شهادتها ، وعند ذلك أمر بابك أصحابه وأتباعه من النواحي والقرى وكانوا في قلة وذلة أن ينتشروا ويرجعوا إلى قراهم ومنازلهم بعد أن أعطاهم سيوفاً وخناجراً<sup>(٤)</sup> .

(١) البذ - كورة بين أذربيجان وأران ، بها كان مخرج بابك الخرمي في أيام المعتصم ( ياقوت

الحموي - معجم البلدان / ١ / ٣٦١ ) .

(٢) البلخي - البدء والتاريخ ٢ / ٢٩٨ .

(٣) المصدر السابق ٢ / ٢٩٨ .

(٤) المصدر السابق ٢ / ٢٩٩ .

كانت أول أوامر بابك لأصحابه أن يمكثوا في منازلهم حتى ثلث الليل الأخير فإذا كان ذلك الوقت خرجوا على الناس كالأسود الهائجة فلا يتركون رجلاً ولا امرأة ولا طفلاً من قريب أو بعيد إلا قطعوه ففعل القوم ما أمرهم به ، فأصبح أهل تلك القرى قتلى بأيدي الخرمية لا يدرون من أمرهم شيئاً ولا ما السبب فيه ، ودخل الناس من جراء ذلك رعب شديد وهول عظيم .

وعاد أصحاب بابك فكروا مرة أخرى على ما حولهم من البقاع والبلدان فسعوا في الأرض فساداً وكانوا لا يدعون صغيراً ولا كبيراً ولا ذمياً<sup>(١)</sup> إلا قتلوه<sup>(٢)</sup> .

تلك هي طبيعة الخرامية وسجيتها بكل صورها ، وهي طبيعة التدمير والتخريب لكل ما هو نافع ومفيد فغايتها إشاعة الفساد ونشره واستئصال شأفة كل مخالف لها أو معاد لمبادئها .

أما نسبه فمختلف فيه فيرى البغدادي ( أن بابك يعود إلى فرقتي الكركدية واللوشاهية )<sup>(٣)</sup> .

بينما يرى الدينوري أنه كان من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم الخراساني وهي التي تنسب إليها الفاطمية من الخرامية وليس إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وقد استفتح عهده بقتل من حوله بالبذل<sup>(٤)</sup> .

### رابعاً - خروج بابك :

بدأت حركة بابك الثورية الهدامة على حدود أذربيجان وأران<sup>(٥)</sup> وبيلقان<sup>(٦)</sup>

(١) الذمي - هو من أعطى العهد والميثاق في أن يمارس شعائر دينه في حرية تامة داخل مجتمعه سواء كان الذمي يهودياً أو مسيحياً أو مجوسياً ، وهذه هي الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لغير المسلمين .

(٢) البلخي - البدء والتاريخ ٢/ ٢٩٩ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٦١ .

(٤) الأخبار الطوال ص ٥٨٨ .

(٥) أران - اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة ، وأران أيضاً قلعة مشهورة من نواحي قزوین

١٣٦/١

(٦) بيلقان - هي إحدى مدن إرمينية الكبرى ( معجم البلدان ١/ ٥٣٣ ) .

وكان أول ظهوره على ما ذكره المؤرخون في قرية بابك المعروفة باسم بد أو البد ولم تكن مشهورة ولكنها اشتهرت من وقت ظهوره ، وكان يعتقد أن المهدي المنتظر يظهر فيها لينشر العدل وقد كان أغلب أتباعه منها وكان يستميلهم بتوزيع الأراضي عليهم (١) .

وقد حدد المؤرخون لخروج بابك وإعلان دعوته تاريخاً هو عام ( ٢٠١ هـ / ٨١٧ م ) حيث تحرك بابك في الجاوذانية أصحاب جاويدان بن سهل صاحب البد وادعى أن روح جاويدان دخلت فيه وأخذ في العبث والفساد (٢) .  
إذ كان بابك يقوم بخدمة جاويدان أحد رؤساء الخرمية ، فلما مات أقامت امراته بابك مكانه وادعت أن روحه حلت في جسده وأوعزت إلى رجاله بوجوب طاعته (٣) .

بات المشيعون لبابك الخرمي بعدما تولى زعامة الخرمية يزدادون يوماً بعد يوم وأخذت حركته تقوى وتشتد حيث يقول البلخي ( وانضوى إليه القطاع والحراب والذعار وأصحاب الفتن وأرباب النحل الزائفة وتكاشفت جموعه حتى بلغ فرسان رجاله عشرين ألف فارس سوى الرجالة واحتوى على مدن وقرى وأخذ بالتمثيل بالناس والتحريق بالنار والإنهاك في الفساد وقلة الرحمة والامبالاة ) (٤) .

وكان كلما ازداد أتباعه وكثر مشيعيه زاد هو في الإفساد والتخريب والقتل والتعذيب في المسلمين .

في تلك الفترة الراهنة كانت الخلافة العباسية تمر بفترة قاسية وشدة عاتية بسبب النزاع الذي دب بين الأمين وأخيه المأمون حين عزم الأول على خلع أخيه من ولاية العهد (٥) وشجعه على ذلك وزيره الفضل بن الربيع

(١) عبد المنعم ماجد - العصر العباسي الأول / ١ / ٤٠٢ .

(٢) الطبري - تاريخ الرسل والملوك / ٨ / ٥٥٦ ، وابن الأثير - الكامل / ٥ / ٣٤٥ .

(٣) ابن كثير - البداية والنهاية / ١٠ / ٢٥٦ .

(٤) البدء والتاريخ / ٢ / ٢٩٩ .

(٥) كان الرشيد قد عهد بالخلافة لأبنائه الأمين ثم المأمون ثم المؤمن ، وكتب بذلك صحيفة أشهد فيها القضاة والفقهاء وأكابر بني هاشم وعلقت في الكعبة ولكن بعد موت الرشيد تنازع المأمون مع أخيه الأمين على الخلافة فحدثت بذلك فتنة كبيرة .

لأنه كان يخاف المأمون لما فعله عند وفاة الرشيد من إحضاره جميع عسكره إلى الأمين .

والفتنة برمتها تشير بل تؤكد على الصراع الشديد بين العرب والعجم والذي زادت حدته وأخذ في التصاعد بعد وفاة الرشيد ، فالأمين هو من نسل عربي صميم كان يسيطر بالفعل على الأقاليم العربية وكان للفضل بن الربيع وزيره أحاسيس عربية ترغب في الحفاظ على وحدة الخلافة العربية حتى اعتبر أن زوال الأمين معناه زوال العصبية العربية ، بينما كان المأمون من نسل فارسي وكان يسيطر على الأقاليم الفارسية وكانت تملكه رغبة قوية في الميل إلى العجم بسبب قرابتهم لأمه وزكى هذه الرغبة عنده وباركها وزيره الفضل بن سهل الذي هو من أسرة إيرانية من أولاد ملوك الفرس الذين كانوا يدينون بالمجوسية (١) .

وعرف ابن سهل بميله الشديد إلى بعث القومية الفارسية ، ولهذا شجع المأمون على الامتناع عن الاقرار بالخلع الذي عزم عليه الأمين وقال له أصبر قليلاً أضمن لك الخلافة (٢) .

ولهذا لم يتفرغ المأمون لأمر بابك إلا بعد ثلاث سنوات من حركته أي في عام ( ٢٠٤ هـ - ٨١٩ م ) في هذا الوقت كان بابكا قد تفاقم خطره وقويت شوخته وزاد أتباعه حتى أصبح خطراً يهدد كيان الخلافة العباسية والدين الإسلامي معاً .

### خامساً. أسباب خروج بابك؛

لم يكن للحركات الهدامة التي قام بها الموالي الفرس خلال تلك الفترة التي تتحدث عنها أسباب واضحة المعالم تبرر الخروج على سلطان الخلافة وإنما كانت أهداف غامضة وملتوية ظاهرها الثأر والانتقام لأبي مسلم الخراساني وباطنها إضمار الكراهية والحقد للعرب ، ومن ثم السعي إلى تقويض أركان الإسلام الذي هو سبب عزهم ومجدهم والذي مكن لهم من إخضاع كل هذه القوى الكبيرة المتمثلة في الفرس والروم .

(١) ماجد - العصر العباسي الأول / ١ / ٢٩٤ .

(٢) حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي ١٤٧ / ٢ .

لم يكن إذن الشار لأبي مسلم الهدف الحقيقي لخروج هذه الطوائف الضالة وإنما هو ستار اتخذته لتخفي ورائه أهدافها القومية والدينية .

ولم تصرح المصادر بالأسباب الحقيقية لخروج بابك الخرمي بهذه الثورة وإنما وجدت بعض الإشارات العابرة التي يمكن أن تكون لها صلة مباشرة أو غير مباشرة في الاستدلال على الأسباب الحقيقية لخروج هذا الثائر اللئيم .

**أولاً :** أشار اليعقوبي إلى أن عمال المأمون في أذربيجان وإرمينية هم الذين حرضوا بابك على العصيان وكان في مقدمتهم حاتم بن هرثمة والي الخليفة المأمون على إرمينية وأذربيجان وذلك إنتقاماً لأبيه الذي اغتاله المأمون عام ٢٠٥ هـ (١) .

حيث نزل حاتم بن هرثمة بعد أن أتاه خبر موت أبيه مدينة كسال وبني فيها حصناً وكاتب البطارقة ووجوه أهل إرمينية وكاتب بابك والخرمية وهون أمر المسلمين عندهم فتحرك بابك والخرمية وغلب بابك على أذربيجان (٢) .

وعندما سمع المأمون بالخبر سارع إلى عزل حاتم بن هرثمة وولى مكانه يحيى بن معاذ بن مسلم مولى بني ذهل .

**ثانياً :** أن إنتقال المأمون من خراسان إلى بغداد بعد أن انتصر على أخيه الأمين بسيف الفرس أثار الفرس عليه وهياً الفرصة للساخطين وأعداء الدولة من الخروج على سلطانه وعلت أصوات الفرس بالنعرة القومية لإعادة مجدهم المفقود .

**ثالثاً :** أنه خرج إنتقاماً لأبي مسلم الخراساني الذي كان يرمز في نظرهم إلى القومية الفارسية ، ومن هنا عظم أتباعه شخصيته وقالوا برجعتهم ولذلك نسبت إليه هذه الفرقة فعرفت بالمسلمية . كما عرفت بالفاطمية نسبة إلى ابنته فاطمة ..

وفي رأينا أن هذه الأسباب جميعاً تضافرت وأدت ببابك الخرمي إلى الخروج بهذه الحركة الهدامة .

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٢٤ .

(٢) المصدر السابق .

فقد انتهز بابك فرصة النزاع القائم بين الأمين والمأمون وثار في وجه الخلافة العباسية وقوى أمره وعز جانبه حتى أوشك أن يعزل المقطعات الفارسية عن الغرب (١).

عند ذلك نهض الخليفة المأمون لمحاربتة وقطع دابره ، ففى عام ٢٠٤ هـ بعث إليه بأحد قواده وهو يحيى بن معاذ ولكنه لم يظفر به وظل كل منهما يقاتل دون أن يظفر بالنصر على خصمه .

وأخيراً تمكن بابكا من أسر يحيى بن معاذ (٢) ، ولما فشل يحيى فى الظفر ببابك عهد المأمون إلى عيسى بن محمد بولاية إرمينية وأذربيجان وكان من القادة المحاربين وأمره بمحاربة بابك ولكنه هزم وفر من أرض المعركة بما معه من الجنود ويصف اليعقوبى هذه الهزيمة وصفاً بارعاً فيقول ( فأحتشد لقتال بابك جنود الحربية فأخذ فى مضيق فلقية بابك فيه فهزمه فمر عيسى مولياً لا يقف على شىء فصاح به بعض شطار الحربية إلى أين يا أبا موسى ؟ فقال ليس لما فى قتال هؤلاء بخت إنما نخشى فى قتال المسلمين ) (٣) .

لم يفتر عزم المأمون عن مطاردة هذا الثائر اللئيم ، وإنما أخذ فى تتبع أثره فأخذ يرسل له الجيش بعد الجيش والقائد تلو القائد بهدف إضعافه حتى يتمكن من القضاء عليه .

ففى عام ٢٠٩ هـ بعث المأمون صدقة بن على المسمى زريق والياً على أرمينية وأذربيجان وعهد إليه بمحاربة بابك ولكنه لم يصنع شيئاً معه وإنما أخذ يمالئه دون قتال وشق عصا الطاعة وطفق يجول فى قوهستان والعراق ويغير على القوافل وينهبها فأسرع الخليفة إلى عزله وولى محمد بن حميد الطوسى مكانه (٤) .

ويذكر اليعقوبى أن زريق بن على لما أظهر تقاعساً وعدم الرغبة فى قتال بابك ولى المأمون مكانه محمد بن حميد الطوسى ، فلما بلغ زريقاً خبر صرفه

(١) كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الإسلامية ٣٥ / ٢ .

(٢) الطبري - تاريخ الرسل ٥٧٦ / ٨ ، اليعقوبى ٣٢٥ / ٢ .

(٣) اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى ٣٢٥ / ٢ .

(٤) نظام الملك سياست نامه ص ٢٨٩ .

وعزله خلع وأظهر المعصية ، كما أسند إلى إبراهيم بن الليث بن الفضل النجيبى أذربيجان (١) .

ولما أرسل المأمون محمد بن حميد الطوسى عام ٢١٢ هـ أمره أن يجعل طريقه على الموصل ليصلح أمرها ويحارب زريق بن على فسار محمد إلى الموصل (٢) ومعه جيشه وجمع ما فيها من الرجال ومضى لحرب زريق وبلغ الخير إلى زريق فسار نحوهم فالتقوا على الزاب (٣) فراسله محمد بن حميد يدعوه إلى الطاعة فامتنع ، فلما يعد أمامه إلا القتال واقتتلوا حتى انهزم زريق وأصحابه وطلب الأمان فأمنه محمد حتى ظفر به فأحكم قيود وأرسل به إلى المأمون فكتب المأمون إلى محمد يأمره بأخذ جميع مال زريق من القرى والريثاق التى كانت تحت يده ففعل (٤) .

ويصرح نظام الملك « أن ابن حميد الطوسى لما كلف بحرب بابك لم يطلب شيئاً من خزانة المأمون وجهاز الجيش من خزائنه الخاصة وقاتل زريقاً وأسره وأهلك جنده فأقطعه المأمون قزوين (٥) ومراغة (٦) ومعظم أذربيجان (٧) .

سار محمد بن حميد بعد أن طهر البلاد من الخونة والماكرين إلى محاربة هذا الخصم العتيد بابك الخرمى واستعرت بينه وبين بابك عدة حروب طاحنة أبدى فيها جيش المسلمين من ضروب الشجاعة والرجولة ما يبعث على

(١) تاريخ يعقوبى ٢ / ٣٢٥ .

(٢) الموصل - احدى قواعد بلاد الإسلام باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان وسميت بذلك لأنها وصلت بين دجلة والفرات ، وقيل بين الجزيرة والعراق ( معجم البلدان ٥ / ٢٢٣ ) .

(٣) الزاب - هى منطقة بين بغداد وواسط وهما زابان .. الزاب الأعلى وماأخذه من الفرات والزاب الأسفا فقصبتة نهر سابى قرب مدينة واسط ( معجم البلدان ٣ / ١٢٤ ) .

(٤) ابن الأثير - الكامل ٥ / ٤٠١ ، واليعقوبى - تاريخ يعقوبى ٢ / ٣٢٥ .

(٥) قزوين - مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرين فرسخاً ( معجم البلدان - ٤ / ٣٤٢ ) .

(٦) مراغة - بلدة مشهورة من بلاد أذربيجان ، وقد لجأ الناس إليها فنزلوها وتحصنوا فيها أثناء فتنة بابك الخرمى ( معجم البلدان ٥ / ٩٣ ) .

(٧) سياست نامه ص ٢٨٩ .

الفخر والإعجاب وكان النصر حليفهم في كل هذه المعارك وجنح أصحاب بابك إلى التربص بجيش محمد بن حميد حتى تواتبهم الفرصة حتى إذا صار جيش المسلمين إلى موضع ضيق فترجل بن حميد وجماعة معه فحمل عليهم أصحاب بابك فقتلوهم وقتلوا جماعة من وجوه أصحابه (١) وكان قتله بهشتادسر .

حزن المأمون لمقتل محمد بن حميد حزناً شديداً وتألم لفراقه وذلك لأنه كان من أخلص قواده وخيرة رجاله ، وعلى الرغم من كل هذه الهزائم المتلاحقة التي منى بها قواد المأمون إلا أنها لن تنل من عزمه ولم تفت في عضده ، إذ ندب لحرب بابك من فوره عبد الله بن طاهر واليه على خراسان وأقطعها ولاية قوهستان كلها وكل ما فتحوه وأذربيجان ، وكتب إلى القضاء وعمال الخراج بالإنهاء إلى أمره ومضى عبد الله بن طاهر إلى أذربيجان لمحاربة بابك (٢) .

وأقام بالدينور وبدأ في تنظيم جنده فأقر القواد الذين كانوا مع محمد بن حميد على الإقامة في موضعهم ، وقد أظهر عبد الله قوته وشجاعته وثبت أمام بابك فعجز بابك عن الصمود أمامه ولم يقو على مقاومته ففر هارباً إلى حصن منيع وتفرق جنده ومن التف حول من الخرمية (٣) .

وفي عام ثمانى عشرة ومائتين خرجت الخرمية بأصفهان وفارس وأذربيجان في الوقت الذي ذهب فيه المأمون إلى بلاد الروم غازياً وكانوا قد تواعدوا جميعاً على وقت معلوم وأعدوا عدتهم ثم خرجوا للسلب والنهب فقتلوا كثيراً من المسلمين وسبوا نساءهم وبنيتهم (٤) .

ويرى بعض الباحثين (٥) أن عبد الله بن طاهر لم يتمكن من هزيمة بابك وإنما ظلت الحرب بينهما سجالاً إذ يبدو أنه لم يكن يحاربه بنفسه وإنما كان يقيم بدينور ويوجه إليه الجيوش فأرسل إليه قائداً عربياً مشهوراً هو محمود

(١) اليعقوبي - تاريخ اليعقوبي ٣٢٥ / ٢ ، والطبري - تاريخ الرسل والملوك ٦٢٢ / ٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) نظام الملك ص ٢٨٧ .

(٤) اليعقوبي - تاريخ اليعقوبي ٣٣٠ / ٢ .

(٥) ماجد - العصر العباسي الأول ٤٠٢ / ١ .

ابن حميد الطوسي ، إلا أن بابك تمكن من أسره في عام ٨٣٧/٢١٢ ثم قتله بعد ذلك في عام ٨٢٩/٢١٤ ورثاه بعض الشعراء .

وهكذا لم يتمكن الخليفة المأمون من القضاء على بابك قضاء نهائياً مع أنه لم يدخر جهداً في إرسال الجيوش والمحاربين لتأديبه والقضاء عليه ، وإنما الفتنة قائمة تنفث سمومها وأفكارها الهدامة بين أهالي أذربيجان وهمذان وأصبهان وما جاورها من المدن والبلاد وبات الأمر يتطلب من الخلافة الإسلامية سرعة القضاء على هذا الثائر العنيد وإيجاد قوة رادعة تردده إلى مكمنه قبل أن يتفاقم خطره ويهدد أمن البلاد ، لذا أوصى المأمون ولي عهده المعتصم في أن يتجرد لهذه الفتنة بكل ما أوتي من قوة فقال في وصيته ( والخزمية فاغزهم ذا حرمة وصرامة وجلد واكنفه بالأموال والجنود فإن طالت مدتهم فتجرد لهم فيما معك من أنصارك وأوليائك ) (١) .

### الخرمية في عهد المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤٢م) :

دخلت الخزمية وعلى رأسها بابك طوراً جديداً في عهد المعتصم حيث جد بابك في استغواء أرباب النحل الزائفة وأصحاب الفتن وأخذ يستميل عقول الفجرة والكفرة بلا برهان فكثرت جموعه حتى بلغ فرسانه ألف فارس سوى الرجال واستحوذ على كثير من المدن والقرى الواقعة ما بين أذربيجان وإيران وقتل عدة قواد من المسلمين حتى قيل أنه قتل فيما حفظ ألف ألف إنسان ما بين رجل وامرأة وصبي (٢) .

وفي عهد المعتصم كثر اتباع بابك ودخل في دعوته كثير من أهل الجبال من همذان وأصبهان وماسبذان في دين الخزمية وتجمعوا فعسكروا في همذان فوجه المعتصم إليهم عساكر المسلمين بقيادة إسحاق بن إبراهيم (٣) فقتل من الخزمية ستين ألفاً وهرب الباقون إلى بلاد الروم (٤) .

(١) الطبري - تاريخ الرسل ٦٦٥ / ٨ ، وابن الأثير - الكامل ٤٢٠ / ٥ .

(٢) البلخي - البدء والتاريخ ٢٩٩ / ٢ .

(٣) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب أحد القواد الأشداء ، أرسله المعتصم لحرب بابك ثم اشتد على الأتشيون بطل برقة في شمال أفريقيا وعهد إليه بحرب بابك .

(٤) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٦٦٨ / ٨ ، والأثير - الكامل ٤٥٨ / ٥ .

وقيل أنه قتل مائة ألف سوى النساء والصبيان والأسرى الذين أتى بها مكبلين بالأغلال إلى بغداد .

وليس صحيحاً ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن بابك كان قد قتل من جيوش المعتصم مائة ألف سوى النساء والصبيان في ٢١٩ هـ (١) .

عمد المعتصم إلى إصلاح ما تهدم وخرّب من أفعال بابك فبعث أبا سعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل (٢) وأمره أن يبنى الحصون التي خربها بابك فيما بين زنجان (٣) وأردبيل وأن يترك فيها قوة من الرجال لحفظ الطريق لمن يجلب الميرة إلى هناك ، وامثل أبو سعيد لأمر المعتصم وبني الحصون التي خربها هناك (٤) .

بيد أن عيون بابك التي كان ييئها في كل مكان أخبرته بالخبر فأسرع بابك إلى بعث سرية إلى هناك ليغيروا عليهم وبلغ ذلك أبا سعيد فجهز جيشه وجمع الناس وخرج إليه يعترض سرية بابك وتمكن أبو سعيد من قتل بعضهم وأسر البعض الآخر وأرسل بالرؤوس والأسرى إلى المعتصم بالله فكان هذا أول هزيمة لأصحاب بابك (٥) .

وبدأ المعتصم في التدبير للقضاء على حركة بابك التي عكرت صفو الدولة العباسية فلجأ إلى الاستعانة بكل العناصر والأفراد التي من الممكن أن يساعده في القبض عليه ، لأن بابك كان يتحصن بالمغارات والمسارب الضيقة والتي تخفيها الهضاب والتلال ، وكان يرسل منها سرايا والعيون لمعرفة أخبار المسلمين ، وكانت هذه المسارب لا تعلم إلا لخاصته وبعض الصعاليك المقيمين في القلاع والحصون القريبة منه ، ومن ثم استعان المعتصم ببعضهم

(١) عبد المنعم ماجد - العصر العباسي الأول ٤٠٣ / ١ .

(٢) أردبيل - من أشهر مدن أذربيجان ، وكانت فضية الناحية قبل الإسلام ( معجم البلدان - ١٤٤ / ١ ) .

(٣) زنجان - بلد من نواحي الجبال بين أذربيجان وأبهر وقزوين ، وقد تم فتحها سنة ٢٤ هـ على يد البراء بن عازب في عهد عثمان بن عفان ( معجم البلدان ٣ / ١٥٢ ) .

(٤) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٩ / ١٢ ، ابن كثير - البداية والنهاية ١٠ / ٢٩٣ .

(٥) المصدر السابق .

ليستدل على المواقع الحصينة التي يقيم فيها هذا الثائر اللئيم فلجأ إلى محمد بن البعث الذي كان يقيم في قلعة حصينة تسمى الشاهي وهي من كورة أذربيجان ، كما كان له حصن آخر من أذربيجان يسمى تبريز وكان ابن البعث مصالحاً لبابك تنزل سراياه عنده فيضيفهم ويحسن إليهم .

وكان بابك يُرسل بالسرايا والجواسيس في كل مكان لمطالعة الأخبار فبعث بسرية إلى ابن البعث على رأسها رجل يُقال له عصمة فاستضافهم وقدم لهم الطعام وأنواع الخمر حتى سكروا فقام إلى عصمه فأحكم وثاقه وقتل من كان معه من أصحابه إلا من بقى منهم خارج الحصن فكان يستدعيهم واحد تلو الآخر فيضرب عنقه حتى علم الباقون ففروا هارين في الجبال (١) .

ثم سير ابن البعث عصمة إلى المعتصم وهو يرسف في القيود والأغلال فسأله المعتصم عن بلاد بابك فأخبره بطرقه ووجوه القتال فيها وأمر بسجنه فظل محبوساً إلى أيام الواثق (٢) .

### سادساً- الصراع بين الأفشين وبابك:

تفرغ الخليفة المعتصم لمحاربة بابك والقضاء على ثورته التي طالما هددت ملكه وأقلقت باله وأفنت أعداداً هائلة من جنود المسلمين منذ عصر المأمون حتى خلافة المعتصم .

ولم يعد هناك ثمرة فائدة من تركه أو الصبر عليه ، بل ربما أدى تركه إلى استفحال أمره وعرض الدولة الإسلامية إلى مخاطر لا تحمد عواقبها .

ندب المعتصم قائده المشهور الأفشين (٣) حيدر بن كاوس الأشروشي لحرب بابك على رأس جيوش كثيرة مكونة من عناصر مختلفة من الترك

(١) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ١٢/٩ .

(٢) المصدر السابق ١٣/٩ .

(٣) كان الأفشين وهو حيدر بن كارس من بلاد اشروسنه الواقعة شرقي فرغانة بين سمرقند ونهر سيحون ، كان من خيرة قواد المعتصم ، ولذا كان يدخره لإخضاع الصعاب من الأمور ، لأنه كان يتمتع بال المكر والدهاء ، ولهذا تمكن الأفشين من القضاء على بابك الخرمي بعد فشل كثير من القواد .

والبربر وجند العراة والبصرة وسار بهم إلى بلاد بابك بعد أن علم من بعض أتباعه الذين وقعوا في الأسر طرقها ووجوه القتال فيها ، وعسكرت الجنود في مدينة برزند<sup>(١)</sup> وهي مدينة قريبة في المكان والموقع من عاصمة بابك ، وقيل أن الذي جهزها وأعدّها للجنود هو الأفشين ليثن منها الغارات على بابك ويتربح حركاته ويدرسها عن قرب<sup>(٢)</sup> .

وأخذ الأفشين في ضبط الطرق والحصون فيما بينه وبين أردبيل وانتظر ريثما تنحصر الثلوج عن الطرقات<sup>(٣)</sup> .

---

(١) برزند - بلد من نواحي تقيس من أعمال جرزان من أرمينية ، وقيل برزند من نواحي أذربيجان وعمرها الأفشين وجعلها معسكراً له أثناء حربه مع بابك (معجم البلدان ١/ ٣٨٢) .

(٢) نظام الملك - سياست نامه ١٩٢ .

(٣) أبو حنيفة الدينوري - الأخبار الطوال ص ٥٩٠ .

وقام الأفشين بعدة تنظيمات للقادة والجند وأقامهم فى نواحي مختلفة وأرسل العيون فى كل مكان فكانوا إذا ظفروا بأحد من الجواسيس حملوه إلى الأفشين فكان لا يقتلهم ولا يضربهم بل كان يحسن إليهم ويهب لهم العطايا ويسألهم عما كان يعطيه لهم بابك فيضاعفه لهم ثم يقول لهم كونوا جواسيس لنا ولكم ما تريدون ، وبهذه الطريقة تمكن من الانتفاع بهم (١) .

كما أنه جمع كل الصعاليك ووجوه القوم الذين كانوا يقطنون الجبال وضمهم إليه وكانت الإمدادات لا تنقطع عن الأفشين من قبل الخليفة ، ففى عام ٢٢٠ هـ بعث المعتصم مع بغا الكبير إلى الأفشين مالا كثيرا للجند والنفقة عليهم فوصل إلى أردبيل وبلغ الخبر بابك فتهيا هو وأصحابه ليقطعوا عليه قبل وصوله إلى الأفشين ونقل أحد الجواسيس إلى الأفشين الخبر فصنع حيلة ليضل بها أصحاب بابك (٢) وينجو بالمال .

وأقبل بابك فى جمع من أصحابه وإذا بالأفشين وجنوده لهم بالمرصاد فاشتبكوا معهم فى حرب شدد فيها المسلمون على أصحاب بابك فقتلهم جميعاً وفر بابك إلى موقان (٣) فأقام بها حتى جاءته عساكر من البذ فرحل معهم . وقد قُتل من أصحاب بابك فى أرشق (٤) خلقاً كثيراً قيل أكثر من ألف رجل (٥) .

كانت الحامية الإسلامية بقيادة الأفشين قد اتخذت مدينة برزند قاعدة لها وقد أمر الأفشين بحفر خندق عظيم بها ، فلما فرغوا من حفر الخندق استخلف الأفشين ببرزند الموزبان فى جماعة من القواد وسار هو حتى نزل الخندق ووجه يوباره فى جمع كثيف إلى رأس نهر كبير وأمرهم بحفر خندق آخر هناك فاحتقراه ، فلما فرغوا وافاهم الأفشين فأقام بكلان روذ خمسة أيام فأتاه من أخبره أن قائداً لبابك اسمه ( آذين ) قد عسكر بإزائه

(١) الطبري - تاريخ الرسل ١٢/٩ . (٢) ابن الأثير - الكامل ٤٣٥/٥ .

(٣) موقان - ولاية فيها قرى ومروج وهى من أذربيجان . (معجم البلدان ٢٢٥/٥) .

(٤) أرشق - جبل بأرض موقان من نواحي أذربيجان عند البذ مدينة بابك الحرمي (١٥٢/١) .

(٥) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ١٤/٩ .

فوجه إليه الأفشين ظفر بن العلاء السعدي في جماعة من الفرسان والرجالة فانقضوا على أولاد آذين فأسروهم جميعاً<sup>(١)</sup>.

استمرت الحرب بين الأفشين وبابك قرابة العامين أو يزيد<sup>(٢)</sup>.

وكانت الحرب قاسية بينهما فالمكان كان صعب ومتعثر لوجود الهضاب والجبال في هذه المنطقة مع نزول المطر المستمر بحيث انقضى الشتاء في عام ٢٢١ هـ ولم يستطع الجند أن يحاربوا بابك فسعى الأفشين إلى وضع خطة جديدة تمكنه من التغلب على هذه الظروف الصعبة فبدأ في مهاجمة قواد بابك فإذا تمكن من إخضاعهم والقضاء عليهم استطاع الوصول إلى بابك في سهولة ويسر.

عمد الأفشين إلى محاربة آذين وانتصر عليه<sup>(٣)</sup>.

وذلك لأن الأفشين كانت قواته أكثر رجالاً وأوفر كراعاً وأتم عدة وسلاحاً من خصمه العنيد بابك وأصحابه.

بدأت قوات بابك في التناقص بشكل منتظم بسبب القتل الذي راح يحصد قواته يوماً بعد يوم ، وقد يرجع لتقدم جيوش المسلمين على بابك إلى الخطط الحربية المحكمة التي شرع الأفشين في وضعها وإلى الحنكة السياسية التي كان يتمتع بها ، إذ كان يلجأ إلى الحيلة مع خصمه إذا أعبته المواجهة ويلجأ إلى المواجهة إذا أعبته الحيلة حتى يظفر بخصمه ويتنصر عليه .

وفي عام ٢٢٢ هـ بدأت قوات المسلمين بقيادة الأفشين تزحف إلى مدينة البذلقتها وتطهيرها مما وقع لأهلها من فتنة بابك وأحس بابك هنالك بأن نهايته قد قربت فسارع إلى فتح باب الحوار مع الأفشين .

### سابعاً. حوار بابك مع الأفشين :

لجأ بابك إلى الحوار بعد أن عجز عن المواجهة فأرسل إلى الأفشين رجلاً

(١) ابن الأثير - الكامل ٤٤٤ / ٥ .

(٢) نظام الملك - سياست نامه ص ١٩٢ ، والبغدادي - الفرق بين الفرق ص ١٦١ .

(٣) يسهب المؤرخون في بيان ذكر الأحداث التي وقعت بين الأفشين وبابك ووصف المعارك الحربية والأماكن التي دارت عليها والصعاب التي واجهت جيوش المسلمين في هذه الأماكن الموحشة وذلك للوقوف على حجم الجهود التي بذلها المسلمون في القضاء على هذه الحركات الهدامة .

يُقال له ( موسى الأقطع ) يسأله أن يخرج إليه ليكلمه بما في نفسه فأجابه الأفشين إلى ذلك فخرج بابك حتى صار بالقرب من الأفشين في موضع بينهما واد(١) ، فلما رأى الأفشين انحنى له تعظيماً وتوقيراً فعرض عليه الأفشين الأمان وأعلمه مافى الطاعة من السلامة في الدنيا والآخرة(٢) .

ويذكر اليعقوبي أنه يبدو أن بابك الخرمي كان يمكر بالأفشين ويحتال عليه حتى تحين له الفرصة للانتقاض عليه ، وما يدل على ذلك أنه رفض قبول الأمان من الأفشين لما عرضه عليه وسأله أن يؤخره يومه ذلك فقال له إنما تريد أن تحصن مدينتك ، فإن أردت الأمان فاقطع الوادى فانصرف بابك إلى موضعه وأعلن الحرب(٣) .

وبينما تشير المصادر أن الذى طلب الحوار والمشافهة هو بابك الخرمي ، يصرح نظام الملك أن الأفشين هو الذى سارع إلى طلب الحوار مع بابك حيث أرسل إليه من يقول له ( اشخص إلى رجل حازم مجرب من رجالك أحدثه بعض حديث فيه مصلحة لكلينا ، فأشخص بابك إليه رجلاً من خاصته فقال له الأفشين « قل لبابك لكل ذى بداية نهاية وأن رأس الرجل ليس بكرات يجتث فينبت من جديد ، لقد هلك من رجالي معظمهم حتى لم يبق من العشرة واحد وما أحسب الأمر إلا كذلك في فريقك فتعال نتصالح على أن نقتنع بهذه الولاية التى تغلب عليها وتهدأ حتى أرجع وأخذ لك من أمير المؤمنين الولاية وأرسل لك بذلك منشوراً ، وإن كرهت نصيحتى فتعالى نشتبك دفعة واحدة حتى نرى أينما يحالفه الإقبال » ، فخرج من عنده الرسول إلى بابك ) .

ولعل هذه المراسلة التى بدأها الأفشين كانت سبباً فيما بعد باتهامه أنه تهاون فى حرب بابك ، وعلى كل حال فإن الحوار وأساليب التفاهم لم تنجح مع هذا الخصم العنيد فلم يبق إذن غير المواجهة والقتال .

(١) يذكر اليعقوبي أنه كان بينهما نهر ، أما الطبري فيصرح أنهما اقتربا من بعضهما حتى كان بينهما قدر ميل .

(٢) اليعقوبي - تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٣٣ ، الدينوري - الأخبار الطوال ص ٥٩٢ .

(٣) المصدر السابق .

## ثامناً. اللقاء الفاصل بين الأفشين وبابك:

تسهب المصادر في وصف المصادمات والمعارك التي نشبت بين بابك الخرمي وقوات المسلمين وما دار فيها من قتال وما نتج عنها من خسائر فادحة في الأرواح والأموال حتى صرح نظام الملك بأن الحديث عن أول خروجه حتى هلاكه حديث طويل يملأ مجلداً ضخماً<sup>(١)</sup>.

فإن من يقرأ للطبرى وابن الأثير يجد إسهاباً كبيراً في وصف المعارك والحروب والخطط الموضوععة للقضاء على بابك وحركته، ومن ثم فإننا سنحاول اختصار هذه الحروب وإيجازها حتى لا يتعرض القارئ للسآمة والملل.

عزم الأفشين على وضع خطة محكمة الجوانب للتخلص من فتنة بابك والقضاء عليه فلجأ إلى الخدعة والحيلة في استدراج بابك فأخفى أغلب قواته وراء الجبال وفي الأخاديد حتى يوهم خصمه بقله جنده وضعف قواته فكان جملة ما أخفاهم الأفشين وراء الجبال ألفين من الفرسان وخمسة آلاف من الرجال المقاتلين<sup>(٢)</sup>، كما أمر بحفر الخنادق على كل طريق ولم يترك مسلماً إلى الجبال منها إلا مسلماً واحداً، كما أمر جنوده بأن يلزم كل منهم موضعه حتى يأمرهم بالرحيل.

وأرسل بابك رسولاً إلى الأفشين بطعام وشراب وأعلمه أنه في رغد من العيش وكان الهدف الأول من إرسال هذا الرسول هو الاطلاع على قوات المسلمين وتعدادهم حتى يتمكن بابك من ترتيب قواته، فلما بلغ الرسول بابك وأبلغه الرسالة وأطلععه على قلة الجند وأيدت هذا الخبر العيون والأرصاد التي كان ييئسها بابك في كل مكان عقد العزم على قتالهم ومهاجمتهم بعد ثلاثة أيام<sup>(٣)</sup>.

كانت إمدادات الخليفة للأفشين مستمرة لم تتوقف طوال حربه مع هذا الخصم اللعين، ففي عام ٢٢٢ هـ جهز المعتصم جيشاً كبيراً وبعث به مدداً

(١) سياست نامه ص ٢٩٣ .

(٢) نظام الملك - سياست نامه ص ٢٩١ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩١ .

للأفشين وبعث معه ثلاثين ألف ألف درهم نفقة الجند فاقتلوا قتالاً شديداً إذ كانت رغبة الخليفة في القضاء على هذه الفتنة قوية بعد أن شعر بخطورتها وأثارها على دولته (١) في هذا العام .

بدأ الأفشين بعد أن اجتمعت له كل أسباب القوة وبعد وصول هذه الإمدادات ، وكان قد أحكم الخطة القتالية ليقضى بها على هذا المتمرد ، ومنها إخفاء أكثر رجاله خلف الجبال والوديان وأعلمهم ألا يغادروا هذه الأماكن حتى يولى ومن معه الادبار ، أمام عسكر بابك فإذا رأيتم ذلك أسرعتم من أخذيدكم وقطعتم عليهم طريق الوادى حتى لا يستطيعوا العودة إليه .. عند ذلك يقفون بين فكي الرحي فلا يستطيعوا الفرار (٢) .

فلما كان اليوم المحدد ساق بابك جنده من الوادى وهم يزيدون على مائة ألف فارس وراجل وظهر لهم جند الأفشين أحقر مما كانوا ، فقد رأوا من قبل ولم يروا جنداً آخر واتصلت بينهما الحروب وقاتل الفريقان قتالاً عظيماً وقتل من الفريقين خلق كثير ، وما أن حانت ساعة حتى ولى الأفشين الادبار ، ثم أنه قال لصاحب الراية ( ارفع الراية وأثنوا العنان ) وكان الجند يقفون عند كل ما يجدون من مغنم ومتاع وبابك لا يفتأ يقول لهم ( لا تتشغلوا بالمغنم حتى تفرغ من أمر الأفشين وجنده دفعة واحدة ) وطارد بابك مع فرسانه الأفشين أما الرجالة فتد انشغلوا بالمغنم .

ثم أن العشرين ألف فارس التابعين للأفشين والذين عسكروا خلف الجبال والوديان توائبوا يميناً وشمالاً من الأخاديد والجبال فألقوا رجالة الخرمدينة متشربين فى الصحراء فأخذوا عليهم طريق الوادى واعملوا فيهم السيوف فسقطوا مابين قتيل وجريح وفار من ساحة القتال ، وانقلب الأفشين فى جنده فطوقوا بابك وكلما حاول أن يجد مهرباً لم يجد حتى أدركه الأفشين وأسرته (٣) .

وظل الأفشين طوال يومه يكر ويفر ويقتل ويشرد حتى جن عليه الليل

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ص ٢٩٢ .

(٢) نظام الملك - سياست نامه ص ٢٩١ .

(٣) نظام الملك - سياست نامه ص ٢٩٢ .

حتى قيل أن عدد من قتل في هذه المعركة ثمانين ألف رجل - وافتتح الأفشين البذ مدينة بابك واستباح ما فيها بعد حصار طويل وحروب هائلة وقتال شديداً (١).

### تاسعاً - نهاية بابك الخرمي :

لما استولى الأفشين وجنوده على بلدة البذ دار ملك بابك وسر سلطته هرب ومن معه من أهله وولده ومعه أمه وامراته وشرذمة قليلة من خاصته وأصاب بابك الجوع فرأى حرثاً فبعث غلامه إليه وأعطاه ذهباً فقال أعطه الذهب وخذ ما معه من الخبز ، كان للحرث شريك فذهب لحاجة فنزل الغلام إلى الحرث ليأخذ منه الطعام فرآه رفيق الحرث فظن أنه يأخذ مامعه غضباً فذهب إلى حصن هناك فيه نائب الخليفة يقال له سهل بن سنباط فجاء معه ليرى ما الخبر ، فلما سأله من أنت ؟ قال له أنا من غلمان بابك ، فقال وأين هو ؟ فقال هاهو جالس يريد الغذاء ، فلما رأى وجه بابك عرفه وما لبث سهل أن كتب إلى الأفشين يعلمه بذلك فأرسل إليه الأفشين رجلين من رجاله ليمسكوا ببابك ، وظل بن سنباط يخدع بابك ويستدرجه حتى وصل رجال الأفشين وقبضوا عليه (٢).

نظر بابك بعد أن أمسك به وأحكم قيده إلى سهل وقال له قبحك الله فهلا طلبت مني من المال ما شئت كنت أعطيك أكثر ما يعطيك هؤلاء ، فلما مثل بابك بين يدي الأفشين قام فتلقاته وأمره أن يترجل فيدخل بين الناس وهو ماش ففعل فكان يوماً مشهوداً ثم احتفظ به وسجنه عنده وكتب إلى المعتصم بالخبر فأمره الخليفة أن يقدم به وبأخيه (٣).

ويذكر المسعودي أن الناس لما علموا بالخبر ضجوا بالتكبير وعمهم الفرح والسرور وكتبت الكتب إلى الأمصار بالفتح (٤).

(١) ابن كثير - البداية والنهاية .

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية ٢٩٤ / ١٠ ، وابن الأثير - الكامل ٥٠ / ٥ .

(٣) ابن الأثير - الكامل ٥١ / ٥ ، وابن كثير - البداية والنهاية ٢٩٤ / ١٠ ، والمسعودي - مروج

الذهب ٥٦ / ٤ .

(٤) مروج الذهب ٥٦ / ٤ .

أقبل الأفشين ومعه بابك إلى من رأى عام ٢٢٣ هـ وكان الخليفة قد أمر أخاه الواثق أن يخرج إلى الأفشين لاستقباله فتلقى الأفشين هارون بن المعتصم وأهل بيته الخلافة ورجال الدولة ونزل بمكان يسمى قاطول<sup>(١)</sup> على مسافة غير قصيرة من سامراء .

وبعث المعتصم إليه بالفييل الأشهب<sup>(٢)</sup> .

صار الأفشين يبأبك ومن معه بعد أن أحكم وثاقه إلى سامراء حيث أنزله الأفشين في قصره بالمطيرة<sup>(٣)</sup> ، فلما كان في جوف الليل ذهب أحمد بن أبي داود متنكراً فرآه وكلمه ثم رجع إلى المعتصم فوصفه له فلم يصبر المعتصم حتى ركب إليه فدخل عليه متنكراً ونظر إليه فتأمله وبأبك لا يعرفه ، وفي الغد أراد المعتصم أن يشهره ويريه للناس فأشير عليه أن يحمل على فيل فأمر بتهيئة الفييل حتى قال بعض الشعراء :

قد خضب الفييل كعادته      يحمل شيطان خراسان  
والفييل لا تخضب أعضاؤه      إلا لذي شأن من الشأن<sup>(٤)</sup>

كما حمل إلى الأفشين درّاعة<sup>(٥)</sup> من الدياتج الأحمر منسوجة بالذهب قد رصع صدرها بأنواع الياقوت والجوهر ودرّاعة دونها وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سقاسك بألوان مختلفة وقد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ والجوهر وألبس بابك الأولى وأخوه الثانية وقدم إليه الفييل فركبه وضرب له المصاف صفيين في الخيل والرجال والسلاح والحديد والرايات والبنود من القاطول إلى

(١) قاطول - اسم نهر من دجلة كان في موضع سامراء قبل أن تعمر وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبني بجواره قصرأ (معجم البلدان ٤/ ٢٩٧) .

(٢) هذا الفييل حملة بعض ملوك الهند إلى الخليفة المأمون هدية له وكان فيلاً عظيماً قد جلل بالدياتج الأحمر والأخضر وأنواع الحرير الملون :

(٣) المطيرة - هي قرية من نواحي سامراء وكانت من متزهات بغداد (ياقوت الحموي - معجم البلدان ٥/ ١٥١) .

(٤) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٩/ ٥٣ ، أثير - الكامل ٥/ ٤٥٥ ، ابن كثير - البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٤ .

(٥) الدرّاعة / ثوب من صوف .

سامراء وبابك على القيل يخطر بين الصفيين وهو ينظر إلى ذات اليمين وذات الشمال ويميز الرجال ويظهر الأسف على ما فاتته من سفك دمائهم (١).

ودخل على الخليفة المعتصم بعد هذه الزينة فلما أخذته عين الخليفة قال له أنت بابك فلم يجب فكررها عليه مراراً وبابك ساكت فمال إليه الأفشين وقال له الويل لك أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت فقال نعم أنا بابك ، فقال له أيها الكلب لماذا أثرت الفتنة في الأرض ، فلم يجبه بشيء فأمر الخليفة أن يجرده من الزينة وأن يقطع يديه ورجليه ويضرب بهما وجهه وبابك يتمرغ في الدم ثم أمر السيف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل ثم أمر بجز لسانه وصلب أطرافه مع جسده ثم حمل رأسه إلى مدينة السلام (٢).

وقيل أن الخليفة لما أمر بقطع أعضائه عضواً عضواً ليلذوق العذاب الأليم ويموت موتة مروعة أمر بعد ذلك بإحضار جلد بقرة حديثة الذبح فأدخلوا بابك الملعون قفيه ووضع رأسه عند قرني البقرة وخيط الجلد عليه وظل كذلك حتى جف عليه الجلد (٣).

حمل بابك بعد ذلك إلى خراسان ليطاف به كل مدينة من مدنها وكورها ليعرف الناس مصير كل تائر ومتمرد يحاول إشهار سيفه في وجه المسلمين بغير حق (٤).

ولما قُتل هذا الملعون وأخوه وزالت الفتنة وانقشع الضباب قام في مجلس المعتصم الخطباء والبلغاء والشعراء ابتهاجاً بهذه المناسبة فتبادلوا التهئة ومدحوا الخليفة وقادته ومما قيل فيه :

يا أمين الله إن الحمد لله كثيراً  
هكذا النصر فلا زال لك الله نصيراً  
وعلى الأعداء أعطيت من الله ظهيراً

(١) المسعودي - مروج الذهب ٥٧/٤ .

(٢) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٥٣/٩ ، والمسعودي - مروج الذهب ٥٨/٤ .

(٣) نظام الملك - سياست نامه ص ٢٩٣ .

وهنيئاً هياً الله لك الفتح الخطيرا  
فهو أفتح لم ير الناس له فتحاً نظيراً  
وجزى الأفتشين عبد الله خيراً وحبوراً  
فلقد لاقى به بابك يوماً قمطريراً  
ذاك مولاك الذى أفتيته جليداً صبوراً  
ضربة أقت على الدهر له فى الوجه نوراً<sup>(١)</sup>

### عاشراً. الآثار الجانبية لفتنة بابك:

خلفت هذه الفتنة المضلة التى قام بها بابك فى خراسان خلال العصر العباسى الأول آثاراً سيئة وتمخضت عن خسائر فادحة فى الأموال والأنفس والثمرات حيث استغرقت مدة الفتنة منذ ظهورها حتى القضاء عليها عشرين عاماً خاض خلالها المسلمون ضد هذا الكافر حروباً طاحنة تمخضت عن قتل مئات بل ألوف من المسلمين ، فقد أحصى المؤرخون عدد من قتل بابك فى عشرين سنة مائتى ألف وخمسمائة وخمسة وخمسين نفساً ، وأسر خلقاً لا يحصون عدداً فكان جملة من استنفذه الأفتشين من أسره نحواً من سبعة آلاف وستمائة إنسان وأسر من أولاده سبعة عشر رجلاً ومن حلالته وحلالل أولاده ثلاثاً وعشرين امرأة من الخواتين<sup>(٢)</sup> .

كما قتل بابك عدداً من القواد المسلمين الذين بعث بهم الخليفة للقضاء عليه ، ومن القادة الذين تغلب عليهم بابك يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبى خالد وأحمد بن الجتيد ورزيق بن على ومحمد بن حميد الطوسى .

أما عن الخسائر فى الأموال فكان جملة الذى أخرجه الأفتشين من المال مدة مقامه فى حرب بابك عن كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم ، وفى كل يوم لا يركب فيه خمسة آلاف درهم خلال عشرين عاماً متواصلة<sup>(٣)</sup> .

ويذكر المؤرخون أن أحد جلاديه وقع ذات يوم فى الأسر ، فلما سئل

(٤) المسعودي - مروج الذهب ٥٨/٤ .

(١) المسعودي - مروج الذهب ٥٩/٤ .

(٢) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٥٥/٩ ، ابن الأثير - الكامل ٤٥٥/٥ .

كم قتلت قال إن بابك له جلادون كثيرون وأما أولئك الذين قتلتهم أنا من المسلمين فسته وثلاثون ألفاً ماعدا أولئك الذين قتلهم غيرى وأولئك الذين قتلوا في الحروب (١).

هذا يدلنا على الكم الهائل من الخسائر الفادحة التي تكابدها الخلافة العباسية سواء كانت في الأموال التي أنفقتها الخليفة على جيوش المسلمين منذ ظهور هذه الفتنة أو كانت في أعداد القتلى نتيجة المعارك والحروب أو في الفساد الذي لحق بالقرى والمدن والضياح التي كانت تضمها خراسان .

وفي هذه المناسبة السعيدة قام الخليفة بتتويج قائده الأفشين المظفر بتاج من الذهب مرصع بالجواهر وإكليل ليس فيه من الجواهر إلا الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر قد شبك بالذهب ، كما ألبس وشاحين بالجواهر ووصله بعشرين ألف درهم منها عشرة آلاف صلة وعشرة آلاف درهم يفرقها في أهل عسكره وعقد له على السند وأدخل عليه الشعراء بمدحونه وأمر للشعراء بصلات (٢).

توجت جهود الأفشين التي بذلها وخططه التي وضعها للقضاء على فتنة بابك .. توجت بالانتصار والفوز عليه وعد هذا الانتصار مفخرة من المفاخر التي تضاف إلى سجله وتاريخه العسكري ، ولهذا استحق التكريم من الخليفة والمدح من الشعراء فقال فيه أبو تمام الطائي :

بذ الجلاذ والبذ فهو دفين	ما أن بها إلا الوحوش قطين
لم يقر هذا السيف هذا الصبر فيه	هيجاء إلا عز هذا الدين
قد كان عذرة سودد فافتضها	ولقد ترى بالأمس وهي عرين
هطلت عليها من جماجم أهلها	ديم أمارتها طلى وشؤون
كانت من المهجان قبل مفازة	عسراً فأفضحت وهي منه معين (٣)

كما قام المعتصم بتزويج الحسن بن الأفشين بأترجه بنت أشناس وزفت

(٣) المصدر السابق .

(١) نظام الملك - سياسة نامه ص ٢٩٤ .

(٢) المسعودي - مروج الذهب ٥٩/٤ ، الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٥٥/٩ .

إليه وأقيم لها عرس يجاوز المقدار فى البهاء والجمال حتى قال المعتصم :

زُفْتُ عَرُوسٌ إِلَى عَرُوسٍ      بِنْتُ رُؤَيْسٍ إِلَى رُؤَيْسٍ  
أَيُّهَا كَانَ لَيْتَ شِعْرَى      أَجَلٌ فِي الصَّدْرِ وَالنَّفُوسِ  
أَصَاحِبِ الْمَرْهَفِ الْمُحَلَى      أُمُّ ذُو الْوَشَاحِينَ وَالشَّمُوسِ (١)

### خروج الخرمية فى عهد الواثق (٢٢٧، ٢٣٢هـ) :

لم تقعد جماعة الخرمدينة عن الخروج والفساد فى الأرض والإغارة على القرى للسلب والنهب وقتل النساء والأطفال وإثارة الفتن والقلاقل فى البلاد، ففى عهد الواثق خرجت من ناحية أصفهان وكان منهم شر عظيم وفساد كبير وطفقوا يعاودون الخروج حتى عام ثلاثمائة (٢).

وكانت الخرمدينة (الخرمية) تتخذ من القتل والسلب وسيلة لذرع الخوف والرعب فى قلوب الناس إذ كانوا لا يدعون رجلاً ولا امرأة ولا صبياً ولا طفلاً من قريب أو بعيد إلا قطعوه وقتلوه فدخل الناس رعب شديد وهول عظيم من أفعالهم، وقد ساعدهم على الاستمرار فى الفساد والظفیان ما كانوا يتحصنون به من الجبال والمواقع الحصينة التى يجتمعون بها بعد أعمال الإغارة والسلب.

### الحادى عشر - عقائد الخرمية ومبادئهم :

للخرمية مبادئ هدامة وأفكار مخربة أخرجتهم عن جملة فرق الإسلام إلى الكفر المحض الصريح وقد صنفهم أئمة الملل والنحل ضمن أصحاب الإباحية الذين استباحوا المحرمات ورفعوا الحرج عن كل المنهيات ودعوا إلى إتيان الفواحش والمنكرات (٣).

وعلى هذا فمبادئهم تعد امتداداً للمبادئ الهدامة التى دعا إليها مزدك قديماً من استباحة أموال الناس والأشياء كلها، فالناس شركاء فى الأموال والنساء وقد اتخذت الخرمية من هذه المبادئ طريقاً ومنهاجاً صاروا عليه

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ١٠ / ٢٩٥ .

(٢) المصدر السابق ٤ / ٥٩ .

(٣) نظام الملك - سياسة نامه ص ٢٩٤ .

وأضافوا إلى هذه التعاليم والمبادئ التي أخذوها عن مزدك وغيره من الضلالات والخرافات ما يشهد على كفرهم وضلالهم البعيد (١).

فمن مبادئهم الأساسية تحويل الملك من العرب المسلمين إلى الفرس المجوس ، وبعبارة أخرى العمل على إضعاف الإسلام أو محوه وإحياء المجوسية القديمة التي عاشوا في ظلها ردهاً طويلاً من الزمان .

ومما يؤيد هذا قول البلخي : فإن الخرمية احتالوا في إزالة الملك إلى العجم فموهوا هذه النحلة وزينوها للجهاًل ودعوا إليها في السر ومحصول أمرهم التعطيل والإلحاد (٢) .

ومن مبادئ الخرمية تأليه البشر ورفعهم إلى مصافى العصمة والكمال ، فقد ادعى بابك كذباً وزوراً أن روح جاويدان حلت فيه حتى جعل الخرمية يقولون ( أمنا بك ياروح بابك كما أمنا بك ياروح جاويدان ) (٣) .

كما قالت الخرمية بالحلول (٤) ، ولهذا قالوا بأن روح أبي مسلم قد انتقلت إليه من إنسان لآخر حتى وصلت إلى بابك ، ولقد كانت الخرمية مسبقة في هذا الزعم بالبيانية (٥) الذين زعموا ألوهية سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام وقالوا أحل في علي جزء إلهي واتحد في جسده (٦) .

وبالسبائية (٧) أصحاب عبد الله بن سبأ ..

(١) البغدادي - الفرق بين الفرق ص ١٦٠ ، الشهرستاني - الملل والنحل ٥٧ / ٢ .

(٢) البدء والتاريخ ٢ / ٢٩٩ .

(٣) الفهرست - ابن النديم ص ٤٦٤ ، حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي ٩٢ / ٢ .

(٤) الحلولية - هم القائلون بحلول جزء إلهي في بعض الأئمة مثل علي وغيره ( الفرق بين الفرق - ١٥٤ ) .

(٥) البيانية - هم أتباع بيان بن سميان القائلين بألوهية علي بن أبي طالب وأن جزء إلهي حل به ثم انتقل إلى أبي هاشم ثم انتقل إلى بيان عن طريق التناسخ ، ولهذا ادعى النبوة . ( الفرق بين الفرق ص ١٤٥ ) .

(٦) الشهرستاني - الملل والنحل ١ / ١٥٢ .

(٧) السبائية - هم أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي بن أبي طالب أنت أنت .. يعني أنت الإله فنفاه إلى المدائن وكان يهودياً فأسلم ولكن إسلامه ظاهرياً ، فلما قُتل الإمام علي زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن علياً بل شيطان تصور للناس في صورة علي وأن علياً صعد إلى السماء مثل عيسى عليه السلام وأن الرعد صوته والبرق تبسمه وأنه سينزل إلى

وقد صرح الإمام البغدادي بوجود الصلة بين القائلين بالحلول والخزمية فقال ( وتبع هؤلاء الحلولية قوم من الخزمية شاركوهم فى استباحة المحرمات وإسقاط المفروضات ) (١) .

كما كان من مبادئ الخزمية القول بالرجعة التى قال بها غلاة الشيعة الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليفة وحكموا فيهم بأحكام الألوية فرمبا شبهوا واحداً من الأئمة بالآلة وربما شبهوا الإله بالخلق وهم على طرفى الغلو والتقصير وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى وكل بدع الضلال محصورة فى أربع :

التشبيه والبداء والرجعة والتناسخ وتعددت ألقاب الغلاة وتنوعت حسب المكان والموطن ، ففي أضربهان الخزمية والكوزية وبالرى المزدكية والسبازية وبأذربيجان الدقولية وبموضع آخر المحمرة وبما وراء النهر الميضة (٢) .

ويشير البلخي إلى مبادئ الخزمية الهدامة بأنهم يجمعون على القول بالرجعة ويقولون بتغيير الاسم وتبديل الجسم ( يعنى القول بالتناسخ ) ويزعمون أن الرسل كلهم على اختلاف شرائعهم وأديانهم يحصلون على روح واحدة وأن الوحي لا ينقطع أبداً وكل ذى دين مصيب عندهم إذا كان راجى ثواب وخاشى عقاب ولا يرون تهجينه والتخطى إليه بالمكروه ما لم يرم كيد نحلتهم وخسف مذهبهم ويعظمون أمر أبى مسلم ويلعنون أبى جعفر المنصور لقتله أبى مسلم ويكثرون الصلاة على فيروز لأنه من ولد فاطمة بنت أبى مسلم ولهم أئمة يرجعون إليهم فى الأحكام ورسل يدورون بينهم ويسمونهم ( فريشتكان ) ولا يتبركون بشيء مثل تبركهم بالخمور والأشربة المسكرة وأصل دينهم القول بالنور والظلمة وإياحة النساء وإياحة كل ما يستلذ النفس وينزع إليه الطبع (٣) .

وهذا كله ضلال وتضليل وإفساد للأفهام والعقول والبعد بها عن نطاق الحق والمنطق السوى السليم .

(٢) الشهرستاني - الملل والنحل ١ / ١٧٤ .

(١) الفرق بين الفرق ص ١٥٤ .

(٣) البلخي - البدء والتاريخ ١ / ٣٣٠ .

ومن الدعائم القوية والأسس الراسخة والقواعد الثابتة في مذهبهم تحجب كل ما من شأنه أن يجهد البدن وإسقاط الشريعة والتكاليف كالصلاة والصوم والحج والزكاة وتحليل الخمر واستباحة أموال الناس ونسائهم والابتعاد عن كل ما هو فريضة (١).

والعجيب أن بابك عندما تولى أمر الخرمية أحدث في مذاهبهم جرائم جديدة منها القتل والغضب والحروب والمثلة وهي جرائم لم تكن في الخرمية قبل ذلك (٢).

لم تتفرد الخرمية بأسلوب واحد في جذب الأنصار والأعوان إليها ، وإنما كان لها عدة أساليب ملتوية تقوم على النفاق تارة وعلى المكر والخداع تارة أخرى ، فطالما أظهروا في دعوتهم الصدق والتقوى ومجبة آل بيت رسول الله ﷺ حتى يتصيدوا بذلك الناس ، فإذا قوى أمرهم اجتهدوا في أن يفسدوا أمة محمد ﷺ ودينه وهم يتعاونون على ذلك فيما بينهم ، وإن الكفار لأشفق منهم على المسلمين (٣).

كما أنهم يدعون أتباعهم إلى الجد في جمع الأموال واحتجائها عن مستحقيها مظهرين لهم أن هذا هو الاقتصاد (٤).

ويرى بعض الباحثين أن هناك صلة بين اسم الخرمية وبين اللذة والإباحية فإسم الخرمية قد يكون مشتقاً من خرم ( ومعناها لذيد ) فهؤلاء كانوا لا يعرفون ديناً غير اللذة التي لا حد لها ، ولهذا كرههم أهل السنة نظراً لهذه الإباحية التي عملوا على نشرها .

ويرى بعض الباحثين أن حركة بابك في مضمونها حركة إصلاحية تهدف إلى إقرار مبادئ مزدك الإصلاحية والعمل على إحيائها ، وهذه المبادئ كلها إباحية كذلك ، فإن صح أن حركة بابك كانت امتداداً لمذهب مزدك القديم فلا يبعد أن تكون الحركات الفارسية الهدامة التي قامت خلال تلك

(١) نظام الملك - سياسة نامه ص ٢٩٥ .

(٢) ابن النديم - الفهرست ص ٤٦٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩٥ .

(٤) المصدر السابق .

الفترة أن تكون وثيقة الصلة بهذه النحلة ولاسيما أن الهدف أو الغاية التي قامت على أثرها هذه الحركات كانت واحدة في الظاهر وهو الثأر والانتقام لمقتل أبي مسلم الخراساني ، وواحدة في الباطن من حيث القول بالتناسخ والرجعة والحلول وغير ذلك من الخرافات والضلالات .

ومن هنا يتضح لنا أن أصل مذهب مزدك والخرمدينة ( الخرمية ) والباطنية والبابكية واحد وهم يبتغون دائماً هدم الإسلام ويتعاونون على ذلك فيما بينهم ، فالكفر ملة واحدة فهم أعداء الإسلام وأعداء آل بيت رسول الله ﷺ ، يضلون الخلق عن سواء السبيل ، فمن رحمهم من المسلمين أو والاهم على المسلمين وأهل الكتاب لعنه الله والملائكة والنبيون والأولون والآخرون ، وكان يوم القيامة مأخوذاً .

